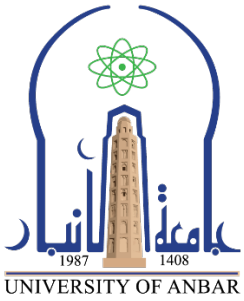

كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : أ.م .د. نوفل حامد عبد الرحمن عمران الهيتي

اسم المادة باللغة العربية : انتشار الاسلام في جنوب شرق اسيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : The Spread of Islam in Southeast Asia

اسم المحاضرة الحادية عشر باللغة العربية: اثر الاسلام والثقافة العربية في اندونيسيا

اسم المحاضرة الحادية عشر باللغة الإنكليزية : The impact of Islam and Arab culture in Indonesia

اثر الاسلام والثقافة العربية في اندونيسيا

سبق ان اوضحت ان العرب الحضارمة قد وصلوا الى سواحل سومطرة الشمالية الغربية منذ عهد مبكر يرقى الى القرن الرابع الميلادي، وتدريجيا اختلطوا بالسكان المحليين وطوال ثلاثة قرون سبقت ظهور الاسلام ، كان لهؤلاء العرب تأثير ولكنه بسيط ومحدود. الا ان هذا التأثير ازداد بشكل ملموس شمل كل جوانب الحياة الاندونيسية الدينية والثقافية والا جتماعية والسياسية بدخول الاسلام الى سواحل هذه الجزر، وتدريجيا صار هذا التأثير حاسما سواء في تحول اندونيسيا الى الاسلام ام في الطابع العربي الاسلامي الذي طبع به المجتمع الاندونيسي.

ان اوضح انعكاسات هذا التأثير، تبرز في المجال الثقافي، ففي مجال اللغة ازداد تأثير اللغة العربية على اندونيسيا المعاصرة Bahasa ذلك ان الاسلام ينطق بالعربية دينا ودنيا، فقد رافق عملية انتشار الاسلام دخول العديد من المصطلحات الدينية التي تتطلبها قراءة القرآن وفرائض الدين الاسلامي وتعالميه ومعاملات الاحوال الشخصية من زواج وطلاق وارث وطقوس وتدريجيا حلت اللغة العربية التي حملها الاسلام على رؤوس الاشهاد محل الهندية في الادب الاندونيسي حتى بلغت الكلمات العربية المستعملة في هذا الادب حوالي ٦٥٠ كلمة، وبين هذه الكلمات مصطلحات تجارية ومالية، مما يدل على مدى تأثير التجارة العربية على أندونيسيا اولاوجنوب شرقي آسيا والعالم ثانيا لقد اجتهد التجار العرب المسلمين انفسهم منذ وصولهم الى اتشيه Atieh شمال غرب سومطرة في نشر كل ما يتعلق بالاسلام وهم على خلاف الهنود لم يكونوا مجموعات خاصة ولم يكن عندهم نظام طبقي تدرجي Cast System بل يقيمون معتقداتهم على الايمان بال-ه واحد وانها مهمة الجماعة كلها اغنياء أو فقراء تجارا او زراعا، ان ينشروا التعاليم الاسلامية نفسها التي لم تكن معتقدا فحسب بل كانت نظاما قانونيا وغطا اجتماعيا وعقيدة تتلاءم مع كل وجه من اوجه السلوك وتدريجيا دخل الاندونيسيون في الدين الجديد حتى تعاظم أمره وصار قوة مؤثرة منذ نهاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي والقرون التالية التي حددت شخصية اندونيسيا الاسلامية ، هذا التحول السريع نحو الاسلام يرجع الى ثلاثة عوامل:

1 - العامل الديني ممثلا بعقيدة الاسلام وبمبادئه التي دعت الى رفع شأن الفرد ذاته و القضاء على سلطة الكهنة البراهميين والنظام الطبقي الهندوكي، اضافة الى ان الاسلام اشبع ميول السكان المحليين الروحية فقد كان مثلا للسلطة في اشخاص الحكام المسلمين وممثلا للحضارة في اشخاص التجار الوافدين كما ان معتقدات المسلمين الصوفية وجدت توافقا الى حد ما مع المتقدات الاندونيسية القديمة التى تميل الى الفلسفة الغيبية كالايمان بالاهات الحسن الثلاث : الجمال والفنون والمهارات وهي على الاكثر تركة هندوسية وان الاساس الذي . عليه هذه المعتقدات هو ما يعرف بـ الحيوية (Animism) وهي الاساس والمنطلق لكل تصورات الاندونيسيين الدينية القديمة على فكرة ان كل تقلبات الطبيعة ومظاهرها . نتيجة لعمل قوى غيبية (فوق) (الطبيعة) واغلبها ارواح شريرة يمكن ارضاؤها وتجنب غضبها بمنتهى الحذر والتعقل، وان المكونات الاساسية لهذا الدين الاندونيسي البدائي هي :

أ - اعتقاد مفاده ان كل حي له نفس Soul هي قوة حياته وهي وان كانت واحدة عند الجميع الاانها قد تكون أقوى في واحد دون اخر وانها اكثر تمركزا في جزء من اجزاء جسم ا الانسان منه في جزء اخر).

ب - الاعتقاد بوجود نفس فردية تلازم الشخص الحي طوال حياته وعند موته تبقى م لازمة للاماكن التي كان فيها او ما يجاورها وان هذه النفس لا تنسحب من الاهتمام بشؤون الجماعة بل تبقى مهتمة بها ومشاركة فيها وان هذه النفس تغضب اذا خرج الا بناء على عادات الاجداد او كفوا عن تأدية الواجبات لهذه الاوراح ولذلك يحرص الا ندونيسيون على المحافظة على فيهم القديمة من خلال عبادة الاجداد والتمسك بـ التراث.

٢ العامل السياسي - ممثلا ً في الصراع الداخلي بين الدويلات والامارات الاندونسية اولا وصراع هذه الامارات المستمر ضد السلطة المركزية الهندوكية ثانيا ، دفع ببعض امراء وزعماء ونبلاء هذه الدويلات الى اعتناق الاسلام بوصفه سلاحاً فعالا ضد الهندوك يحظى بتأكيد شعبي يمكن ان نتلمسه في الاقبال الشديد الذي لقبه الاسلام بين السكان المحليين سواء كان ذلك في سومطرة اوجاوه وبقية الجزر فيما بعد

3- العامل الاقتصادي - ويتمثل بالدرجة الاولى في التجارة البحرية سواء المحلية منها التي بين جزر الارخبيل أو العالمية التي تتجاوز المياه الاندونيسية الى الصين والهند و الخليج العربي : والتي يعول عليها بوصفها مصدراً للربح وزيادة الدخول عن طريق المكوس

والضرائب المفروضة على التجارات التي تمر بموانئهم اضافة الى البضائع المصدرة و المستوردة

ويلاحظ ان معظم من زاولى التجارة كانوا من حكام المقاطعات والامراء والنبلاء ، ولما كانت التجارة عبر المحيط الهندي بيد العرب بعد أن تسموها منذ اواخر القرن السابع الميلا دي فقد سعى التجار الاندوينسيون إلى كسب ود المسلمين وأكثر من هذا فان بعض التجار المحليين اشتغلوا وكلاء لدى التجار العرب المسلمين مما أدى بشكل او باخر الى قبول بعض التجار امراء ونبلاء بالدين الجديد، وهناك روايات تزعم ان سلطان باساي المسلم فتح أسواقه الحاكم مالقا مقابل اسلام الاخير، وهكذا بنمو التجارة المحلية بين جزر الارخبيل ، انتشر الاسلام حتى وصل الى غرب اريان في حين استوطن الهندوس في بالي وفي غرب لومباك .

وفي المدن وجد التجار والصناع وفئات الشعب الكادحة في الاسلام ودينا يمنحهم العدل و المساواة ومتنفسا يخلصهم من سيطرة الطبقات المستغلة بما احياه فيهم من دينامية غذت الثورية في اندونيسيا.

أن الراي القائل بان العاملين الاقتصادي والسياسي، كانا الاساس في انتشار الاسلام في اندونيسيا كما ذهب الى ذلك فان لير، بتأكيده على دور الطبقة الارستقراطية والفئة الحاكمة، يغفل خاصية الاسلام الاصلاحية واسلوبه السلمي الاقناعي الذي بدأ في وقت ما ملائما لخط الحياة الاندونيسية الدارجة).

وباستثناء جزيرة بالي Bali وهي الجزيرة الوحيدة بين الجزر الاندونيسية الثلاثة الالاف التي ماتزال على الديانة الهندوسية - البوذية - التي تشكل ظاهرة اجتماعية طريفة فبعد أن كانت تحت حكم الملوك الجاويين في أزمنة الحقبة الهندية الجاوية حاولت عدة مرات التخلص من السيطرة الاجنبية، وأخيرا عند سقوط مملكة ماجا فاهيت في جاوة بيد المسلمين خلال ١٢٧-٩١٩ ه‍ـ / ١٥٢٠-١٥١٢ م هرب قسم من اعضاء الطبقة الحاكمة وبعض الفنانين والقس عبر اربعة الاميال من الماء الذي يفصل جاوة عن جزيرة بالي واستقروا فيها ، وقد تفاعلت ثقافتهم وتراثهم الهندو - جاوي ودينهم مع أصول اهل بالي الحضارية ومعتقداتهم الحيوية لتعطي الباليين صفاتهم الفردية الخاصة بهم، وحتى الان ظلت بالي ذات طابع هندي، مما يخلق مشاكل للجمهورية الاندونيسية التي توحدت للمرة الأولى في ظل الاسلام

وهناك اجزاء اخرى في شرق سومطرة وشمال جزيرة سلاويس (سليبس) تدين بالمسيحية،

وفيما عدا ذلك فان الاسلام امتد ليشمل كل جزر الارخبيل من سواحل سومطرة شرقا الى اريان غربا، حتى اصبح دين الاغلبية الساحقة من الشعب الاندونيسي وهذا ما أفصح عنه احصاء السكان عام ١٩٧١ والذي دل على ان المسلمين يشكلون ٩٠ ٪ من مجموع السكان، اما المسيحيون فبلغ ٦%% وشكل الروحانيون (عباد الطبيعة حوالي ٤٪ من السكان .

وبشأن ما للدين الاسلامي من تأثيرات على مجمل الحياة الاندونيسية نذكر الآتي :

أ - يشكل الاسلام موجة ثقافية وحضارية بالغة الفعالية بين موجات اخرى كالهندوسية و البوذية والإسلامية والاوربية الهولندية او المسيحية، فقد وصلت طلائعه الاولى الى سواحل الارخبيل الشمالية الغربية منذ القرون الاولى الهجرية، ثم ما لبث أن تغلغل تدريجيا في اجزاء كبيرة من اندونيسيا.

لقد جاءت الموجة الاسلامية على اثر الموجة الهندوسية - البوذية التي كانت قد وصلت الى اندونيسيا من الهند منذ القرن الأول الميلادي واستمرت هذه الموجة مؤثرة في الحياة الا ندونيسية طوال سبعة قرون يمكن ان نتلمس اثارها في اللغة وفن العمارة والنحت والادب والموسيقى وطقوس العبادة وما الى ذلك من اثار مازال بعضها محفوظا في متحف ميرد كا لا وفي نصب بورد الاثري في جاوة .

أقول انه مع وجود هذه التأثيرات الهندوكية والبوذية والمسيحية والاندونيسية القديمة فان الاسلام منذ أن وطيء جزر الارخبيل حظي بقبول منقطع النظير من لدن مختلف فئات الشعب الاندونيسي وصار خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي وماتلته من قرون طابعا ثقافيا وحضاريا يطبع المجتمع الاندونيسي.

و بتعاقب الازمان وصولا الى العصر الحديث شكل الاسلام عنصرا من عناصر انبثاق الوعي بالذات والخصوصية الوطنية الاندونيسية المعادية للنفوذ الاجنبي سواء كان هذا النفوذ هنديا او هولنديا وعاملا مهما من عوامل توحيد الامة والدولة الاندونيسية.

ب - لانشك في ان لاندونيسيا تراثا حضاريا ترجع اصوله الى الوثنية القديمة اولا والى الهندوسية والبوذية ثانيا، وان مقارنة هذين التراثين بالقيم والمفاهيم الاسلامية قد رجحت كفة الاسلام صحيح ان الاسلام في عهوده الاولى قد وجد هوى بين التجار والحكام والنبلا ء ضمانا لمصالحهم الا ان انسانية المبادئ التي حملها هذا الدين وافقت ميول واذواق الا ندونيسين وبالتالي رسخت جذوره بين الطبقات الكادحة التي قاست كثيرا من الظلم الا جتماعي والتمايز الطبقي الذي مارسته الهندوسية.

فضلا عن ان الاسلام تجنب استفزار الخصوصيات التي تشبث بها السكان المحليون وبعبارة أدق صار الحل الى توفيق او قل تكييف بعض العادات والتقاليد المحلية بما يتقارب او ينسجم مع مبادي الدين الاسلامي وبالطبع ان عملية التوفيق لم تكن على حساب الركائز الدينية للاسلام ونعني بها الفرائض الخمسة، فقابل التشدد في الاقرار بوحدانية الله ونبوة محمد بن عبد الله (ص) وترديد شعار الاسلمة (الشهادة) واتيان واجبات العبادة المقدسة (الصلاة)، كانت هناك مرونة الى حدما في روحانيات لا تتعلق بجوهر الاسلام

ج- لما كان الاسلام دينا يوميا يقوم على عبادات وطقوس دينية وقوانين وتشريعات سماوية، فان تأثيره كان ملموسا على التركيب الاجتماعي الاندونيسي اكثر منه على نمط حضارته وخبراته الفنية في الموسيقى والنحت وفن العمارة والادب التي . متأثرة بالتراث القديم، ويلاحظ على هذه الفنون انها في اغلبها ظلت أسيرة للانموذج الهندو - اندونيسي، ذلك أن معظم هذه الفنون ، قامت لاغراض دينية سحرية مارسها الفنانون في المعابد الهندوكية والبوذية ثم انتشرت في المجتمع فاصبحت جزءا من حياة البلاطات والقصور وجزءا من طقوس العبادة عند الناس حتى بعد أن اتصلت اندونيسيا بالغرب عن طريق الهولنديين لم يتغير هذاالانموذج الوطني الا تغيرا طفيفا .

والاسلام نفسه لم يجلب لهذه الفنون سوى تعديلات بسيطة ولكنها كانت فعالة بوصفه محركا للتراث الاندونيسي وليس بوصفه قوة جديدة مبتكرة، فالمسجد على سبيل المثال ظل اندونيسي الطابع بشكل عام من حيث هندسة عمارته فقد نجد فيه سقفا عاليا ذا طبقات، وقد نجده بدون مئذنة في بعض الاحيان ومعظم هذه المساجد ولاسيما التي في القرى لا تتميز عن المنازل التي يسكنها الناس الا في كونها تحتوي على حوض اغتسال يستعمل للوضوء، ومنها ما يكون فيه بوق كبير مستطيل الشكل مصنوع من جذوع للنداء ا لاشجار الضخمة يستخدم في المناسبات الخاصة كما تستخدم للقرع في الكنائس والعادة ان يؤذن للصلاة بقرع طبل ضخم يسمى (بدوغ) Bedug قلما يعدم منه مسجد من هذه المساجد.

وفي المدن هناك جوامع اسلامية مبنية بطريقة المعابد الجاوية الهندوسية كما ان هناك مقابر اسلامية تحمل رموزا هندوسية .

اما الرقص والاغاني التي يمارسها الاندونيسيون والتي يحيون بها الاعياد والمناسبات الاس لامية فانها ذات خلفية هندو - اندويسية، وفي الغالب تمثل الفن الملحمي الهندي الرامايانا والمابهارتا ، وما يقال عن الرقص والغناء يمكن ان يقال عن عادات الزواج والموت حيث

تستمد بعض مظاهرها من العادات الهندية فملابس الزواج التي ترتديها العروس الا ندونيسية تشبه ملابس الفتاة الهندية، وعندما يموت المسلم فان وعاء البخور يبقى مشتعلا الى جانبه تماما كما كان يجري عند الهنود

د - وضوح التأثير الثقافي العربي الاسلامي يبرز في مجال اللغة والادب الاندونيسيين ويمكن ملاحظته في ثلاثة أمور : اولها شمولية اللغة العربية وقابليتها على الانتشار بوصفها لسان الاسلام، وثانيها القبول الوجداني الذي ابداه الاندونيسيون للاسلام طواعية، وثالثهما التأثير الادبي الواسع الذي أحدثه الاسلام في اندونيسيا، ففي مجال اللغة كان تأثير اللغة العربية في اللغات الاندونيسية واضحا او في الاقل موازيا للدخول في الاسلام الذي تنافس فيه الاندونيسيون وتمثل ذلك بصورة خاصة في لغات سومطرة كالاتشهنيزية التي استعملت الابجدية العربية وربما كان ذلك خلال تحولها من تراث شفوي الى تراث مكتوب، فقد اخذت العديد من المفردات العربية وكان من الطبيعي ان يقع على المصطلحات الفنية المتعلقة بالفقه والفلسفة والدين، وكذلك الحال في الكلمات الدالة على عدد من المفاهيم المجردة حتى بلغت الكلمات العربية المستعملة في الادب الاندونيسي حوالي (٦٥٠) كلمة وقد سبق الاشارة اليها.

وللحروف العربية قابلية الاندماج في الكلمات الاندونيسية مع التغيير الصوتي المناسب ف الحرف ش يقوم مقام حرف الصاد مثل صرف sharaf وصديق shadiq وصاحب haib اما الحرف ظ فيقلب الى لام فيقولون ظهر وظاهر ، ولوهر Lohor ولاهر Lahir ، اما العين فتقلب كافا مثل : اعلان = كلان klan معلومات - مكلومات .Malumat .اما الخاء فيقابلها صوت چ ch مثل خير chair وخبير chabir وخالد .()chalid

لقد تسللت بعض الالفاظ العامة سدا للنقص الذي تعاني منه اللغة الملاوية التي حلت في العصر الاسلامي محل اللغة الجاوية، والتي تعد الاساس الذي قامت عليه لغة اندونيسيا المعاصرة Bahasa أو رغبة من الاندونيسين في اظهار اعتزازهم بالاسلام ولاسيما اولئك المتشددين الذين سموا ب «الحاجي» أي الحجاج ، فضلا عن الغايات التجارية والسياسية. ويدل هذا الانتشار في الحروف والكلمات والمفردات العربية في لغة البهاسا Bahasa ، على تفوق اللغة العربية العلمي اولا وعلى مدى التأثير العربي الثقافي والحضاري في المجتمع الاندونيسي وازيادة هذا التأثير بتحول اندونيسيا الى الاسلام الناطق. بالعربية دينيا ورسميا .

المدارس والمعاهد لتفقيه الناس بامور الدين تسمى في سومطرة باسم سوراو suraw وفي

جاوة باسم معاهد بيسانترين Pesantren. مازال هذا النمط من التعليم قائما حتى اليوم، كما ان التأثير العربي الاسلامي في مجال التعليم وبخاصة في انماط التعليم الديني مازال ملحوظا، ففي اندونيسيا حاليا اربعة الفاط من التعليم الديني ب- الاول يقدم في المدارس الحكومية ابتداء من المرحلة الابتدائية والمتوسطة فالثانوية فالمعاهد العليا والجامعات و الثاني . ما يقدم في المعاهد الدينية الخاصة التي تقوم بها الجماعات والمنظمات الاسلامية حيث تصل نسبة المواد الدينية فيها ٦٠٪ والنمط الثالث هو التقليدي العتيق الذي اتبعه الدعاة الاوائل ويسمى بيسانترين والتي تعني مكان تأهيل علماء الدين، ومادة التعليم فيها دينية بحته والرابع الذي يقدم عن طريق دروس او محاضرات الدين في المساجد أو بعض البيوتات لتعلم مبادي الفقه والتوحيد والتجويد وليس في هذا النمط مناهج ولا مراحل ولا امتحانات ولا يكاد حي شعبي يخلو من هذه الدروس